

ضرورة اختيار اللغة الفصحى في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

Dr. Zahra Omrani

Department of Arabic Language and Literature, College of Persian Literature and Foreign Languages, Tabriz Branch, Islamic Azad University, Tabriz, Iran

الملخص

إن اللغة نعمة الله العظمى و ميزة الإنسان الكبرى و لها قيمتها في جميع مجالات الحياة البشرية. اللغة وعاء الأفكار بل هي جزء منها و ربطت بين الفكر و العمل و بفضل هذه النعمة قد أصبح الإنسان كأننا مثاليا على وجه الأرض. كانت اللغة العربية قد بلغت قبل البعثة المحمدية أوج مجدها في الفصاحة و النتاج الأدبي شعرا و نثرا و مع نزول القرآن بهذه اللغة إرتفع شأنها و أصبحت اللغة السائدة في بلاد العرب و المسلمين. يتضح من هذا كله مدى انتشار واتساع اللغة العربية لما تمتاز به من قوة بيانها و أصالة ألفاظها و أصواتها و موسيقى كلماتها و وفرة معانيها و إضافة لما ذكرناه فإن اللغة العربية تمتاز بميزة أخرى وهي انقسامها إلى العامية و الفصحى. إن إختيار العامية أو اللهجات المختلفة لتعليم العربية لغير الناطقين بها يضعنا أمام مشكلة كبرى عملية، إذ إن العاميات و اللهجات ذات صور متعددة حسب بيئاتها ، فأى عامية أو لهجة يجب أن تختار. لهذا تطرح هذه المشكلة و هي ضرورة إختيار اللغة الفصحى في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

هذا المقال يحاول أن يبين ضرورة إختيار اللغة الفصحى مع ذكر عدة أسباب و ادلة لعدم كفاءة اللهجة العامية لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

المقدمة

إن العربية ذات تراث عريق ، وتاريخ موغل في القدم، حيث وصلت العربية إلى الزمان الحاضر عبر تاريخ بعيد غابر . ولكنها رغم ذلك ظلت ناطقة على السنة المعاصرين كما كانت تنطق على السنة السابقين دون أن تستغرب أو تستعجم ، بل ودون أن تتبدل أو تتغير أو تموت . وهذا أمر نادر الحدوث

ولم يسجله التاريخ إلا للغة العربية ، التي يقرأ القارئ نصوصها القديمة دون الإحساس بقدمها. على حين أن نصوص اللغات الأخرى تستغل على الفهم إذا مضى على إنشائها قرن أو قرنان وتوضع لتفسيرها المعاجم ، وتصبح من مقتنيات المتاحف إن مضى على تأليفها أكثر من ذلك. أما من حيث نشأة فوجد أن التاريخ لم يسايرها إلا وهي في وفرة الشباب ، وذروة النمو والكمال و كأنها لم تمر بما مرت به اللغات الأخرى من مراحل التخلق والتطور ، حتى قال بعضهم بأنها هكذا كان انبثاقها إلهاما ، وظهورها إعجازا وخرقا لناموس تطور اللغات . ثم جاءت مرحلة نزول القرآن الكريم بها ، فتعاطت مع تعاليم تلكم الرسالة الخالدة إكسير الحياة ، وسر البقاء فخلدت وبقيت، واضمحل ومات ماسواها من لغات . أما أصوات العربية ، فوجد أن أهم ما يميزها ثباتها ، واستقرارها المذهل؛ فهي لم تتغير ولم تتبدل على مر السنين وتعاقب الأجيال الناطقة بها ، على حين أن بعض أصوات اللغات الأخرى تتبدل وتتحوّل بل وتختفي من نظامها الصوتي تماما . ثم إن أصوات اللغة العربية جاءت موزعة توزيعا متوازنا على أطول مدرج لجهاز نطقي عرفته لغة إنسانية، فتخرج واضحة متميزة سهلة سلسلة، وهذا نقيض ما يوجد في اللغات الأخرى التي قد يتكاثر خروج أصواتها من مخرج واحد، فتتقارب في نطقها وتأتي باهتة غامضة يصعب على متعلميها من غير بنيتها إنتاجها وتمييزها .

أما من جهة النحو والذي يمثل أحد معايير ضبط اللغة ومعرفة قواعد استخداماتها ، فقد عرف هذا الفن في سائر اللغات، لكن النحو العربي كان الأكمل والأشمل والأوسع أبوابا . فالنظام النحوي العربي نظام مفتوح ، لا تحدد فيه وظيفة الكلمة بمجرد موقعها في الجملة كما هو الحال في النظم النحوية المغلقة السائدة في اللغات الأخرى، بل إن في النحو العربي معايير إضافية مثل استخدام الحركات أو ما ينوب عنها لتحديد وظيفة المفردة في الجملة بغض النظر عن موقعها . والنحو في العربية يشتمل على كثير من القوانين الثابتة التي تساعد على إزالة الغموض الذي هو سمة ملازمة لكثير من اللغات المعاصرة، ضبط استخدام اللغة وتوضيح معانيها ، وإثباتها هناك الصريح ، والذي هو صنو النحو وقرينه . فكان من ميزات اللغة العربية أن حباها الله بميزان صرفي قياسي دقيق، يستطيع متحدث العربية بواسطته اشتقاق عدد كبير من المفردات من صيغة الفعل الماضي أو المصدر وهذه خاصية عظيمة تساعد على بقاء اللغة حيا؛ كما تساعد على اختصار الوقت المطلوب لتعلمها وإتقانها وتتيح الفرصة كاملة لاستخدام المنطق والعقل والذوق السليم لاشتقاق مفردات جديدة أو فهمها ،دون أن يكون الدارس قد اطلع عليها من قبل . وهذه ميزة أخرى فاضلة، قلّ أن يوجد لها مثيل في اللغات المعاصرة التي تفتقر لنظم صرفية ثابتة تعين على دارستها وفهمها .

إن اللغة العربية دون سائر اللغات الإنسانية تذخر برصيد وافر من المفردات، وتتسع إمكاناتها للتعبير عن المفاهيم المتجددة من خلال آليات ذكية مثل الاشتقاق والنحت لصياغة مفردات جديدة . أما اللغات

الأخرى ، فهي ذات رصيد محدود من المفردات، وتقل بها إمكانية الاشتقاق والنحت ، مما يجعلها تعتمد كلياً على الاقتراض من اللغات الأخرى.

واللغة العربية لا تكتفي بالتعبير عن المفاهيم المختلفة بدقة فحسب، بل تسعى لتحقيق ذلك من خلال تطبيق أعلى معايير الجودة الشاملة حيث تقدم تلك المفاهيم في أطر جمالية أخاذة، وصور بلاغية رائعة تحقق الفهم والإمتاع معا ، وتكسر حاجز الرتابة، وتثري الفكر والوجدان . هذه السمات المثالية وغيرها من الميزات تضع اللغة العربية في مقدمة اللغات المعاصرة . وترشحها لأن تكون اللغة التي يبحث عنها علماء اللغة المحدثون لاتخاذها لغة كونية مشتركة لسائر بني الإنسان .

أهمية اللغة العربية

و يتضح مدى طاقة اللغة العربية لما تمتاز به من قوة بيانها وأصالة ألفاظها وأصواتها وموسيقى كلماتها ووفرة معانيها، ولما كانت العلوم الإسلامية كلها تقوم على المبادئ القرآنية والسنة النبوية فيجب اغترافها من مناهلها الفياضة الأصلية ألا وهي نصوص القرآن والحديث النبوي فلا يتحقق هذا الهدف المنشود إلا عن طريق اللغة العربية التي هي وعاءها الأصلي، وإذا رجعنا إلى نصوص القرآن وجدنا أن اللغة العربية هي مركز الانطلاق إلى حظيرة القرآن إذ جاء فيه: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، و {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} و {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}.

وإن دراسة القرآن والحديث تحتاج إلى اللغة العربية لما فيها من معان سامية ومفاهيم أصيلة، وإذا قدمت معاني القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية مترجمة إلى اللغات الأجنبية فتعوزها روح الأصالة وروعة النصوص التي ينوط بها إعجاز القرآن وكذلك غزارة المعاني التي تمتاز بها اللغة العربية، ومن ناحية أخرى إن نشر اللغة العربية بين الشعوب الإسلامية في مقدمة الوسائل الفعالة التي تساعد على إيجاد التقارب الفكري بين الأمة الإسلامية لأنها تحمل في طياتها القيم الروحية التي يمنحها الإسلام لكل مسلم كما تكمن فيها روح الألفة والمودة والأخوة التي تربط بين قلوب المسلمين برباط وثيق، ومنح الله سبحانه وتعالى للمسلمين هذه اللغة لتحقيق التفاهم والترابط بينهم في أنحاء الأرض، بحيث يسعى كل مسلم لأن يقرأها ويفهمها بل ويتحدث بها، وإنها أيضا الوسيلة الأولى لنشر الدعوة الإسلامية.

ومن هنا يمكن أن نقول إن اللغة العربية تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري ولفظي، لأن القرآن ليس مجرد مبادئ وتعاليم منعزلة عن الظاهر اللفظي وأن إعجاز القرآن منوط باللغة العربية، وإن اللغة العربية بطاقتها وتراثها لجديرة بأن تكون وسيلة للتفاهم بين الشعوب المسلمة في كل

مكان وعونا على المحافظة على الوحدة الفكرية والمظهرية بين أفرادها وجماعاتها، وأن الوحدة الفكرية بين المسلمين تلعب دورا هاما في هذه المرحلة الحرجة الخطيرة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي.

مستويات اللغة العربية

تعتبر اللغة العربية من أقدم اللغات السامية و هي لغة لها خصائصها التي يجب الأخذ بها عند تعليمها لغير أهلها.

اللغة العربية شأن أى لغة أخرى؛ ذات مستويات في استخدامها؛ فعلى المستوى الراسينج مستويين: أولهما لغة التراث و ثانيهما لغة الحياة المعاصرة و على المستوى الأفقي نجد مستويات أخرى؛ منها ما يخص المثقفين و منها ما يخص أوساط المثقفين و يمكن أن نميز هنا بين مستويين رئيسيين في تعليم العربية:

أولهما: المستوى اللغوي التخصصي و يقصد به تدريس اللغة لأهداف خاصة؛ كأن ندرس العربية لمشتغلين بمهن أو حرف معينة.

ويستهدفون من تعلم العربية اكتساب المهارات اللغوية المناسبة لهذه المهن أو الحرف.

ثانيهما: في مقابل هذا المستوى اللغوي التخصصي؛ يوجد مستوى آخر هو المستوى اللغوي العام.

و يقصد به تزويد الدارس بالمهارات اللغوية؛ التي تلزمه لمواجهة مواقف الحياة العامة؛ كأن يتصل بوسائل الإعلام العربية المختلفة؛ قراءة أو استماعا أو مشاهدة و كأن يطلب طعاما معيناً أو شرابا يريد و هذا بالطبع يثير قضية أخرى؛ هي نوع اللغة التي ينبغي أن تعلم في هذا المستوى العام؛ هل هي العامية لغة التخاطب اليومي بين الناس؟ أم هي الفصحى العامة؟ أم هي الفصحى المعاصرة؛ لغة الإتصال الرسمي كلاما و كتابة؟ أم هي فصحة التراث المرتبطة بمصادر الثقافة الإسلامية الأولى؟ و نرفض تعليم العامية فصحي التراث؛ يطلق اصطلاح فصحي التراث على نوع من اللغة إقرب إلى المجال الديني؛ و الأدبي المتخصص منه؛ في مجال الحياة العامة.

و يشيع هذا النوع من اللغة في الكتابات الدينية و الأدبية القديمة و الشعر العربي في عصوره المتقدمة و هذه اللغة أنسب للدارسين؛ الذين لا يبتغون من تعلم العربية إلا قراءة الثقافة العربية و الإسلامية؛ و كتب الأدب العربي القديم و من هؤلاء الدارسين المستشرقين و المشتغلون بالمجال الديني في دول العالم الإسلامي و غيرهم ممن لا يأملون في الإتصال الفعلي المباشر بالناطقين بالعربية.

الفصحى المعاصرة

اللغة التي ندعوتعليمها هي الفصحى المعاصرة أو كم يطلق عليها الخبراء: العربية المعيارية المعاصرة؛ و يقصد بها تلك اللغة التي تكتب بها الصحف اليومية و الكتب و التقارير و الخطابات و تلق بها الأحاديث في أجهزة الإعلام و يتحدث بها المسؤولون في لقاءاتهم العامة و الخطباء في خطبهم و تدار بها الاجتماعات الرسمية و تؤدب بها بعض المسرحيات؛ خاصة المترجم منها؛ و غيرذلك استخدموا فيه الفصحى لغة للفهم و الإفهام.

لماذا نرفض تعليم العامية؟ أكرر أن العامية واقع لا مفر منه؛ هي أداة الإتصال بين الناس و ليس لكاتب أن يتصور اختفاؤه في زمن قريب و لا يعدو الأمر وراء إنكارها- في رأينا – أن يكون تجاهلا لواقع يفرض نفسه أو تسرعا في إصدار الأحكام العلمية أو مزايدة لهدف؛ و مع تسليمنا بهذا إلا أن لنا بخصوص تعليمها موقفا واضحا؛ مؤداه أن يقتصر تعليمها على البرامج الخاصة التي تضم نوعية من الدارسين؛ الذين تفرض ظروفهم تعلم عامية إحدى البلاد العربية.

أما البرامج العامة لتعليم العربية؛ فنرفض استخدام العامية فيها و يصدر رفضنا لتعليم العامة عن اعتبارات دينية و قومية و تربوية و لغوية نجماها فيما يلي:

الاعتبارات الدينية: إن العامية لا تساعد على الاتصال باحرف العربي المطبوع و من ثم يعجز متعلموها عن قراءة القرآن الكريم و كتب الحديث النبوي الشريف و غيرهما من كتب التراث الإسلامي.

الاعتبارات التربوية: أثبتت الدراسات أن الذين يبدعون بتعلم الفصحى؛ يكونون أقدر على تعلم العامية؛ أسرع من اللذين يبدعون تعلم العامية؛ ثم يتحولون إلى دراسة الفصحى.

الاعتبارات اللغوية: العامية أضيق لفظا و فكرا من الفصحى و إذا بدا أمامنا قصور في التعبير عن بعض المفاهيم بالفصحى؛ فليس في العامية غالبا ما يجبر هذا القصور.

مستويات تعلم العربية: إن تعلم اللغة يتم على مستويين: أولهما: استقبال هذه اللغة و ثانيهما: توظيف هذه اللغة.

على سبيل التفصيل يمكننا القول: إن المتعلم الجيد للعربية؛ هو الذي يصل بعد جهد يبذله في تعلم هذه اللغة إلى المستوى؛ الذي يمكنه منه؛ إذ في الأصوات العربية و التمييز بينها و فهم دلالتها و الاحتفاظ بها حية في ذاكرته.

فهم العناصر المختلفة لبنية اللغة العربية و تراكيبها و العلاقات التي تحكم الاستخدامات المختلفة لقواعد اللغة؛ استقراء القواعد العامة: التي تحكم التعبير اللغوي و التمييز بين الدلالات المختلفة للكلمات الواحدة

و المعنى المتقارب للكلمات المختلفة إذ في لاستخدام الصحيح للغة في سياقها الثقافي أى: أن يدرك الدلالة الصحيحة للكلمة العربية في ثقافتها و أن يستخدمها استخداما واعيا.

ضرورة اختيار اللغة الفصحى في التعليم:

يجب اختيار اللغة الفصحى منطلقا لتعليم العربية لغير العرب لعدة أسباب علمية وعملية ومنهجية، وفيما يلي مجموعة من هذه الأسباب.

إن العامية تختلف من بلد إلى بلد بل ومن منطقة إلى منطقة في كل قطر عربي، وإنما هي صورة أو صور من الكلام تحمل في ثناياها فوارق عديدة واختلافات شتى، سواء في الحروف أو النطق أو التراكيب الكلامية بحيث تخلو من خاصة الوحدة اللغوية التي تمثل العرب من حيث المجموع كأمة واحدة، ومن هنا تعجز هذه العاميات عن سدّ حاجات المتعلمين الأجانب في الإطار العربي العام، وتظهر هذه النتيجة واضحة حينما ينتقل المتعلم الأجنبي من بلد عربي إلى آخر بل ومن منطقة إلى أخرى في دولة عربية واحدة.

إن الفصحى هي التي تلبّي أغراض المتعلمين الأجانب وتوفي بحاجاتهم على المدى البعيد والنطاق الواسع بحيث لا يصعب عليهم الاستماع إلى أي عربي وفي أي بلد والتفاهم معه في صورة موحدة أو شبه موحدة، ولا يتعبون في فهم العاميات المختلفة ذات السمات المحلية الخاصة ببلد عربي دون آخر، وأما الفروق الصوتية والاختلافات في نطق بعض الحروف فيستطيع المتعلم الأجنبي المتمكن في اللغة العربية الفصحى العامة أن يدرك تلك الفروق بمجرد أن يستمع إلى الكلمة أو الجملة منطوقة في إطار القواعد العامة، وأما العاميات فيحتاج الدارسون الأجانب لفهمها إلى أن يتعرفوا على المفردات والتراكيب المختلفة مع تحديد بيئة وبلد كل منها.

إن اختيار العامية أو اللهجات المختلفة لتعليم العربية لغير الناطقين بها يضعنا أمام مشكلة كبرى عملية، إذ إن العاميات واللهجات ذات صور متعددة في الوطن العربي كإطار عام، فأى عامية أو لهجة نختارها للتعليم العام؟ فمثلا: هل العامية المصرية؟ أو الجزائرية؟ أو العراقية؟ وما إلى ذلك، وهذه التساؤلات تدل على صعوبة أو استحالة هذه المهمة، ولو اخترنا نظام تقديم بعض اللهجات العامية إلى جانب الفصحى أو الفصحى لمجموعة والعامية لأخرى فإن المنهج يؤدي إلى اضطراب في العملية التعليمية، وعرقلة لاستمرار الوحدة المنهجية للتعليم في مراحلها المختلفة، ولو اخترنا عامية لسبب من الأسباب أو نظرا لظروف خاصة لمجموعة من المتعلمين فتكون فائدتها مقصورة على فترات زمنية محدودة وعلى بيئات عربية ضيقة وعلى حالات معينة، ولا يحقق هدفهم العام بعيد المدى من تعلم اللغة العربية.

عرفنا أن اللغة العربية الفصحى هي الوعاء الحقيقي للقرآن والسنة والعلوم الإسلامية ، فإن الدارسين للغة العربية من أجل فهم القرآن والعلوم الإسلامية ليواجهون مشكلات أساسية كبرى وعديدة لو قدمنا إليهم اللهجات العامية أو الخليط منها ومن الفصحى، وجدير بالذكر أن الفصحى مازالت - ولا تزال - منهل العلوم والفنون والآداب على رغم الجهود الفاشلة لبعض الأشخاص المغرضين أو الجهات المغرضة لنشر العامية كتابة وقراءة، والواقع أن اللغة العربية الفصحى ما تزال - بفضل القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والأدب العربي والإسلامي الرائع المدون في أمهات الكتب باللغة الفصحى القديمة والمعاصرة تنتظم مجموعة الأساسية للغة العربية فجميع قواعدها ثابتة ومحدودة بحيث يسهل فهمها وتناولها والتعايش مع التدريبات اللغوية وفقا لقواعد الإعراب وقوانين نظم الكلام وأحكام الصياغة والتصريف وغيرها.

إن في اختيار الفصحى منطلقا لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها خدمة عظيمة للإسلام والمسلمين فإن الفصحى هي دعامة كبرى لوحدة الكيان العالم العربي والإسلامي وفيه أيضا خدمة لمقوماته الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية، وإن اختيار الفصحى في جميع مراحل التعليم فيه إنصاف لواقع العالم العربي الذي ينتظم تحت إطار واحد من العقيدة والدين واللغة والثقافة والتاريخ والموقع الجغرافي والمصير بصفة عامة، وإن في تقديم العامية في التعليم أو العمل لنشرها مجانبة للصواب ومخالفة للواقع المحسوس، وأضف إلى ذلك أن اللغة العربية الفصحى إنما هي همزة الوصل ونقطة الالتقاء بين أبناء العالم العربي وبين مئات الملايين من المسلمين في البلدان غير العربية بصفة كونها لغة القرآن ولغة العبادات ولغة العلوم الإسلامية.

طريقة اختيار الفصحى ونوعيتها:

وخلاصة ما تقدم وجوب الإصرار على تعليم اللغة العربية الفصحى لغير الناطقين بها بهدف الوصول إلى صيغة لغوية موحدة وعامة في الإطار العربي العام بحيث تنتظم الخواص العربية الأصلية المشتركة وتخلو بقدر الإمكان من الاختلافات المحلية الخاصة ببلد عربي دون الآخر سواء في المنطق أو اللهجات أو المفردات أو التراكيب ذات السمات المحلية.

ومن المعروف أن اللغة الفصحى أيضا في جميع لغات العالم، ذات أنماط وأشكال متنوعة من الأساليب وصور التعبير، باختلاف العوامل والظروف المحيطة بها من بعد الفترة الزمنية وأسباب النمو والتطور، ومن هنا يقال: بتجاوز في التعبير، أن هناك نوعين من الفصحى: أما أولهما فالفصحى الكلاسيكية أي القديمة مثل فصحى العصر الجاهلي وما بعده التي فقدت الممارسة العملية لها أو قل استخدامها في مجالات الحياة اليومية، وأما ثانيهما فالفصحى المعاصرة التي تعيش في مجالات الحياة عن طريق

الاستعمال الواقعي بصورة أو أخرى، وكلما بعدت الفترة الزمنية قلّت الممارسة العصرية كانت النتيجة جفوة بين اللغة وأهلها وتتفاوت درجات السهولة والصعوبة في فهمها واستخدامها اليومي.

ومن ثم ينبغي أن نضع في الاعتبار مجموعة من المبادئ العامة عند اختيار مادة اللغة الفصحى العربية لتعليمها، سواء لغير العرب أو العرب أنفسهم:

يجب اختيار فصحى العصر لتعليم العربية لغير أهلها، إذ هي الصيغة الأسهل تناولا والأقرب منا لا بحكم قربها الزمني ومعاشتها لمجالات الحياة اليومية، وجدير بالذكر أن هذه الفصحى ما تزال تنطوي على جميع الخواص الأساسية للغة العربية، بفضل القرآن الكريم، ويقال في هذا المجال، إن العرب يختلفون فيما بينهم، بنوع ما، في نطق الفصحى العصرية وفي بعض تراكيبها وصيغها، ويمكن الرد عليه بأن هذا أمر يمكن تناوله تناولا علميا وموضوعيا يصل بنا في النهاية إلى خطوط عريضة للغة مشتركة صالحة للتطبيق في العملية التعليمية على المستوى العربي العام، وإن اختيار مثل هذا المنهج ليكون أيضا عوناً كبيراً على توحيد أو تقريب بين هذه الصور المتعددة كما أن فيه خدمة للقضاء على سطوة اللهجات العامية.

ويتحقق هذا الهدف المنشود بالالتجاء إلى الظواهر الصوتية التي يغلب استعمالها في الوطن العربي في عمومها مع مراعاة ما قرره الأقدمون من علماء اللغة في هذا المجال، وكذلك يجب استخدام المفردات والتراكيب العامة التي يشيع استعمالها لدى العرب بصفة عامة، عند وضع المواد المقررة في جميع المراحل وخاصة في المرحلة الأولى.

اتخاذ طريق متدرج الخطوات، ويبدأ بالعبارات والأساليب التي تقرب من لغة الحياة اليومية، والتي يشيع استعمالها في شتى مجالات الاجتماعية، ونتيجة في اختيار المواد المقررة والنصوص المطلوبة نحو لغة الأدب الحديث الجيد، ولغة وسائل الإعلام المعروفة مثل مفردات وأساليب نشرات الأخبار والأحاديث في الإذاعة والتلفزيون والصحف المعتد بها، وإن اللغة الفصحى اليوم لغة مكتوبة في أغلب أحوالها، ويمكن أن تتخذ هذه اللغة المكتوبة ذاتها أساساً عند اختيار المواد المقررة في مختلف المراحل التعليمية، ولا ينبغي أن نهمل فصحى العصور القديمة، وخاصة الزاهرة منها في العصور الذهبية للحضارة الإسلامية، وهكذا يستطيع الدارسون الإلمام بصورة متكاملة للغة العربية في عصورها المختلفة وفقاً لمنهج دراسي متطور حسب الأهداف والفرات المحددة لكل دورة تدريبية أو مرحلة تعليمية.

ينبغي أن تكون المواد المختارة ذات تنوع في المعاني وأغراض التعبير، بحيث تصور الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكذلك يجب أن توزع قواعد اللغة الصرفية والنحوية وغيرها

توزيعا عادلا مناسباً لكل مستوى ومرحلة، وبالنسبة إلى التدريبات الصوتية يمكن أن توضح الصور النطقية الصحيحة في تسجيلات صوتية تتخذ نمودجا يحتذى به، ويلاحظ في اختيار الصور الصوتية أن تكون المفردات والتراكيب مستعملة في أغلب البلدان العربية ومشاركة فيما بينها في الوقت الحاضر حتى تكون هذه المواد نموذجية ومعيارية وعصرية.

في ضوء هذه المبادئ الأساسية نختار بعض الآيات القرآنية التي تمدّ المتعلم بأفكار نافعة وثورة لغوية مفيدة، وكذلك بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تعدّ أيضاً مصدراً غنياً في هذا الشأن.

ثم نورد أمثلة من أعمال المفكرين والكتاب والشعراء المعاصرين والقدامى من عصور العربية الزاهرة، وكل هذا وذلك حسب حاجات المتعلمين أو تخصصاتهم ومستوياتهم المختلفة، ومن المعروف أن هذا المنهج يكون مقصورياً على دورات تعليمية متخصصة فتكون المادة المختارة في مجموعها على الأساليب العلمية المتخصصة بهذا الفرع أو ذلك.

ويمكن أن نطلق عليها (الدورات التدريبية التخصصية)، وهي تختلف تماماً في المادة والهدف عن النهج العام لهذه النوعية من التعليم، ولا ضير في هذه الحالة أن تكون المادة المختارة في مجموعها مقصورة على الأساليب العلمية المتخصصة، مع إمكانية الاسترشاد بالمبادئ العامة لتعليم العربية لغير الناطقين بها.

الاهتمام بتعليم أصوات اللغة العربية؛ إذ إن الأصوات هي اللبنة الأولى للبناء اللغوي من المفردات والجمل والتراكيب والأساليب التي تشكل أية لغة في مجموعها، وإن المتعلم الأجنبي لا يستطيع أن يستوعب ما يتعلم ويجيد نطقه بدون تعلم الأصوات، إما من قواعد أصوات الفصحى بصورها المختلفة فإنها مسجلة في كتب المحدثين والأقدمين جميعاً، ويتحتم علينا لأدائها العملي أن نلجأ إلى صورة مشتركة من النطق تمثل الخواص الصوتية للعربية الفصحى تمثيلاً صادقاً، ولتحقيق هذا الهدف نستطيع مراجعة المجيدين من قراء القرآن الكريم والاستعانة من بالمختصين في اللغة العربية الفصحى بالنطق والأداء النموذجي.

ويجب أن نراعي في هذا المجال كلّ الجوانب الصوتية للغة، بحيث يعمل نطق الأصوات للمفردات والجمل والعبارات فكما أن لأصوات المفردات حدوداً من الصحة والأداء فهناك حدود معينة لكل ما يتألف منها من جمل وتراكيب أو صيغ منها من وحدات لغوية وكما ينبغي مراعاة قواعد النطق والنبرات في الأداء الصحيح للكلمات، يجب الاهتمام بالإدغام وتوزيع الفواصل والوقفات ودرجات المدّ والشدّ وما إلى ذلك من القواعد المطردة في الجمل والعبارات، ومن المعروف أن طريقة أداء الكلام أو إلقائه في

صورة معينة منسقة هي التي تكشف عن معانيه ومقاصده الحقيقية، وبعبارة أخرى أن معاني الجمل والعبارات تظهر وتتحدد بأدائها أداء موسيقياً أو تنغيمياً معيناً حسب خواص التركيب اللغوي وتوجيه مقامات الكلام وظروفه المختلفة.

تحديد نوعية قواعد النحو والصرف التي تقدم إلى هؤلاء المتعلمين، ويجب أن يكون ما يقدم مناسباً لمستويات الطلاب أو أهدافهم من تعلم اللغة، وبتفادي مجازة نهج الأقدمين في تقديم مجموعات من القواعد بقطع النظر عن التدريبات العملية التي يقوم بها المتعلم بكل ما يتلقاه من القواعد وقراءة وكتابة وتمريناً، وأول مبدء لاختيار القواعد النحوية والصرفية لهؤلاء الدارسين هو الإدراك بأن تعليم القواعد النحوية هو وسيلة لا غاية في ذاته أي أنه وسيلة لاكتساب عملية فهم المسموع والمقروء وإفهام الآخرين ونقل الأفكار إليهم بالتعبير الشفوي والتعبير الكتابي.

فينبغي اختيار تلك القواعد التي تساعد الطلاب على هذا القدر من الفهم والتعبير بسهولة ويسر، ونستبعد بقدر الإمكان من قواعد الصرف، مثلاً: مسائل الإعلال بالنقل والقلب والحذف ومسائل التقدير والافتراض والتأويل وما شابه ذلك من الأمثلة الجدلية والقواعد الشاذة، ويمكن أن يقدم مثل هذه المسائل العويصة في المراحل المتخصصة أو المتقدمة فليس من الضروري الانسياق وراءها في المراحل الأولى لتعليم الدارسين غير الناطقين باللغة العربية.

وبالنسبة إلى قواعد النحو فيكفي تقديم قواعد تركيب الكلام من تقديم وتأخير وتنسيق مفردات الجملة بعضها ببعض، وقواعد التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع والتعريف والتذكير، وكذلك علامات الإعراب الأصلية والفرعية، ويجب أن نلاحظ في تقديم قواعد النحو أن لا تكون منحصرة في الإعراب فقط لأن أهمية التدريب في الكلام ونظمه لا تقل عن أهمية الإعراب، وإن الاهتمام المبالغ فيه هو الذي يؤدي إلى الدخول في المسائل النحوية المعقدة كمسائل التقدير والافتراض وحشد الأمثلة الشاذة، الأمر الذي يعقد العملية التعليمية للدارسين المبتدئين.

وأما الأبواب الشائعة ولكنها معقدة إلى حد ما مثل أبواب التحذير والإغراء والندبة والتعجب وغيرها فيمكن أن تقدم أمثلتها على أساس أنها أساليب عربية تستعمل في الظروف والمناسبات الخاصة، دون الدخول في تفاصيل التحليل الإعرابي والتحليل اللغوي، ومن الضروري كذلك أن نضع في الاعتبار عند اختيار مادة القواعد أن نقدم قواعد الصرف مستقلة عن قواعد النحو، فالصرف هو جزء لا يتجزأ للنحو بل هو الذي يمهد له الطريق، ولا تظهر قيمة أمثلة الصرف إذا أخذت منعزلة عن قواعد التركيب النحوي، ولهذا يجب الاهتمام بتقديم قواعد النحو والصرف وأمثلتهما معاً، مع مراعاة مستويات الطلاب وأهدافهم من تعلم هذه اللغة من حيث النوعية والكيفية المذكورتين.

المصادر

عبدالمجيد الطيب عمر؛ منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة؛ جامعة أم درمان؛ رسالة الدكتوراه؛
٢٠١٠ م

جودت الركابي؛ طرق تدريس اللغة العربية؛ دار الفكر؛ دمشق ١٩٩٦م.

نايف محمود معروف؛ خصائص العربية و طرائق تدريسها؛ دار النفائس؛ بيروت؛ ط٥؛ ١٩٩٨م.

محمد الجوهري؛ مستويات تعلم و تعليم العربية؛ جامعة المدينة العالمية؛ ماليزيا.

نايف معروف؛ خصائص العربية و طرائق تدريسها؛ دار النفائس؛ بيروت؛ ١٩٨٥م.

محي الدين الألوائي؛ الطريقة المثلى لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ بالجامعة الإسلامية - المدينة
المنورة

رشدي احمد طعيمة؛ تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه و أساليبه؛ المنظمة الإسلامية للتربية و
العلوم و الثقافة؛ تونس؛ رباط؛ ١٩٨٩م.